ماهية الجنون وتاريخه

—((●))—

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية والكوكائينية . ومما قلته في نتائجها ان إدمانها يؤدي الى فساد الأخلاق واستحالة العنصر والجنون وقد رأيت من الضروري قبل متابعة هذا البحث ان أقول كلمة في ماهية الجنون وتاريخه لما في هذا المسمى من الغموض الناشئ عن خروج هذه الكلمة عن معناها الحقيقي ، وعدم فهمها بمعناها العلمي ، على ان أعود بعد ذلك الى درس بقية السموم النفسية فأقول :

تتألف حياة الانسان من أفعال عضوية حسية وحركية ومن أفعال نفسية ، منها العقل . وأهم عناصره : الذاكرة ، والانتباه ، والإدراك ، والشعور ، والقياس ، والحكم . ومنها الفاعلية ومن عناصرها الارادة . ومنها الانفعالية ومن عناصرها العواطف والشهوات والميول .

وكما ان الأفعال العضوية تختلُّ وتمرض ، كذلك يعتري الافعال النفسية تغير ، منه النقص ، ومنه الازدياد المرضي ، ومنه الفساد . فاذا نقص عقل المرء يصبح معتوهاً أو أبله أو أحمق ، واذا نقصت إرادته يصير موسوساً قلقاً وهن النفس ، واذا نقصت انفعاليته يمسي مجذوباً لا يبالي ولا يكترث بامر من امور الحياة . وكذلك يقال في ازدياد هذه الأفعال ، فاذا وقع الاحتداد في الافعال العقلية يصبح المرء نشطاً كثير الكلام سريع الجواب شديد الحركة لا يستقر على حال . يتحرش بالناس أشبه به (بزنبرك) الصندوق الحاكي اذا أفلت من عقاله ، يكثر لفظه ويقل معناه . واذا حصلت الحدة في الفاعلية

---

(١) محاضرة للاستاذ الدكتور أسعد بك الحكيم أُلقيت في ردهة المجمع العلمي في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يمسي صاحبها سريع الغضب بطاشاً متعجرفاً أزور . ويولد فرط الانفعالية : أنواع الخوف وشدة التأثر والهستريا . أما فساد هذه الافعال فينشأ عنه الهذيان وأنواع الجرائم وسوء الخلق على تنوعه .

تلك هي الحالات النفسية الشاذة التي تطلق عليها كلمة الجنون . وقد جعل بعض الكتاب العبقرية أو النبوغ من أقسام الجنون بدعوى انها زيادة في الأفعال العقلية ، وهذا خطأ فادح ، لان الزيادة المقصودة في هذا البحث هي الزيادة المرضية التي تشبه سرعة حركة الصندوق الحاكي عندما يفلت زنبركه .

ومن المخجل المبكي ان البشرية حتى أوائل هذا العصر لم تعن بغير صحة الجسم ومكافحة الأمراض العضوية ، مهملة صحة النفس التي منها يتألف كيان الأمم الأدبي والعلمي والصناعي والاجتماعي . ومن مفاخر القرن العشرين تلافيه هذا النقص وأخذه بمعالجة الأدواء النفسية كسائر الأمراض العضوية . وما اتحاد الامم العظمى في منع المسكرات وتحريم المخدرات ومكافحة الامراض الاجتماعية الا مظهر من مظاهر هذا الجهاد المدني الحديث المقدس .

وبعد هذه المقدمة الوجيزة أدخل في صميم الموضوع فأقول :

ان تاريخ الامراض النفسية والمصابين بها مرتبط من حيث التطور العلمي والاجتماعي بتاريخ البشرية العام ارتباطاً محكماً يصح معه ان يقال : ان تاريخ الجنون والمجانين هو تاريخ العلم والاجتماع والعكس بالعكس . وذلك لان الجنون من حيث انه علم يدلنا تاريخه على مقدار ما أدركته العقول البشرية من حقائقه عند كل أمة وفي كل عصر ، كما ان المجنون من حيث انه انسان فقد احدى مميزاته النوعية بعامل المرض فأصبح غريباً عن البيئة بمظاهره وأقواله وأفعاله يطلعنا تاريخه على الأنظمة الاجتماعية والقوانين المدنية . والعواطف والمشاعر الانسانية في مختلف مراحل التاريخ وعند جميع الشعوب . وعلى هذا يمكننا القول : ان أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وان أبهى أيام البشرية حضارة هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضى بالرأفة والشفقة والاحسان . ونظرة عامة في صفحات التاريخ تكفي لاثبات هذه الحقيقة الراهنة .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجنون في العصور القديمة . — كان الانسان أيها السادة في عهده الاول ضعيف الخبرة قليل التجربة لا يستقرأ الحوادث ولا يختبرها بل ينظر اليها بعين عقيدته فيؤولها حسب مايوحيه اليه الوهم والخيال . وبالنظر لما كان عليه من الايمان بسيطرة الارواح والشياطين على العالم كان يعتقد بان الجنون مسٌّ شيطاني فيعالجه بالسحر والعزائم حيناً حتى اذا أشفى يعمد الى ظره اي حربته الصوانية فيشج بها رأس المجنون ليخرج منه الشيطان الشرير .

ثم لما ارتقت مدارك البشر وتبدل الاعتقاد بماهية الالوهية ذهب الانسان الى ان الجنون من غضب الآلهة فراح الى الكهنة والعرافين يتقرب بهم اليها لخلاصه فيتدبرونه بالتعاويذ والرقى والطلاسم والقرابين وغيرها . وفي تاريخ العبرانيين أمثلة كثيرة على هذا المعتقد فقد قيل في شاوول ان الشيطان احتل جسده عندما قاصه يهوه (أي الاله) وهجره كما قيل في بختنصر ان أنامل الرب لمسته فقلبته وحشاً .

* * *

الجنون والمجانين عند اليونان . — وقد كان اليونانيون يعتقدون بان من الجنون ماهو آلهي فيكرمون صاحبه اكرامهم بيتي الدلفية التي كان يهتف ابولون بفيها . ومنه ما هو شيطاني يمتُّ صاحبه بصلة الى الأرواح الخبيثة فينفرون منه ويتعهدونه بانواع العذاب والقتل . وهنالك نوع ثالث وهم الأبرياء الذين مسهم الشيطان بضر فقد كان الكهان يتدبرونهم في الهياكل بانواع الطقوس الدينية وغيرها .

ويظهر أن اول من عالج الجنون بالعقاقير عند اليونانيين ملابيوس الارغومي سنة (١٥٢٦) ق . م فقد شفى بنات فيتوس ملك الارجيين بمعالجتهم بالخريق والاستحمام بالمياه الحارة . ثم جاء اورفي (Orphée) فعالج المجانين بالرقى والموسيقى . وعقبه شيرون (Chéron) ثم تلميذه اسقليبوس (Esculape) الملقب بآله الطب (١١٤٣) ق . م الذي نحتت له التماثيل وشيدت الهياكل في كنيد وكوس ثم ابيدور .

وقد كانت هذه الهياكل ملاجئ للمرضى لا سيما للمصابين منهم بالجنون والآفات العصبية فانهم كانوا يؤمونها من كل حدب وصوب حاملين اليها ما تقوى عليه أيديهم من الهدايا والنذور والقرابين فيتدبرهم الكهان فيها بالطقوس الدينية الغريبة الشكل . وقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان يعالجهم اسقليبوس وتلاميذه بالمؤثرات الطبيعية والرياضة البدنية والملاهي المختلفة كالغناء واللعب وغيرهما ٠

أما ماهية الجنون العلمية فقد ظلت مجهولة مدى تلك العصور الطويلة ٠ ولذلك كان المصابون ببعض أنواع الهذيان والذين يرتكبون جناية بدافع المرض يعاقبون كالاصحاء باشد أنواع العذاب كالسجن والقتل والجلد والحرق بالحديد المشتعل ٠ وقد كان الرومان يلقون بهم مابين مخالب السباع الضارية أيام الاعياد ويتلذذون بمشاهدة تمزيق أوصال أولئك المرضى الابرياء من أعلى شرفات مسارحهم مما ينكره العلم ويتفطر له قلب الانسانية ٠ وهذا دليل على سيادة الجهل وتأخر العلم والمدنية في تلك العصور الغابرة ٠ وقد ظل الاعتقاد سائداً عند جميع الشعوب على اختلاف مواطنهم بان الجنون آلهي أو شيطاني حتى سنة (٤٠٠) ق ٠ م حيث أتى أبقراط الذي انتهى عنده عهد طب الأديرة والهياكل فقد مزق باشعة حكمته أضاليل تلك العصور ، وأماط عن حقيقة الجنون اللثام فقوض دعائم الاعتقاد بمصدره الشيطاني وأوضح بانه مرض كسائر الأمراض مركزه الدماغ ٠ وان الدماغ هو العضو الذي يهذي به الانسان ويتأثر ويخاف ، ويفكر ويفهم ، ويميز الخير من الشر الى غير ذلك من الحقائق العلمية الفسيولوجية والتشريحية ٠ وقد وصف أبقراط أنواع الجنون المهمة كالماتيا والماليخوليا والصرع والاعصبة (Névroses) اي مرض الاعصاب وقلنا فيها عُصاب كما يقال كُباد وقُلاب على القياس ووصف الهذيان الحاد المترافق بالحمى وأسماه الفرانيطس ٠ وذكر ايضاً الانفسة التي تنشأ عن الحمل والخمر (Psychoses) وهي جمع نُفاس اي مرض النفس اشتقاقاً على القياس وقد وضعتها لعدم وجود كلمة تدل على هذا المدلول سواها ٠ وكان يداوي هذه الادواء بالفصد والمسهلات والمقيئات والحمية والرياضة البدنية والموسيقى والسباحة والخريق وغيرها ٠ ووصف أبقراط ايضاً الهستريا وجعل منشأها الرحم ولذلك دعاها اختناق الرحم ٠ فهو والحالة هذه ابو الطب ومبدع الطب النفسي ٠

* * *

الجنون والمجانين عند الرومان ٠ — ثم انتقل الطب الى روما فظهر سنة (٨٠) ق ٠ م اسقليبدس (Asclépiade) فقسم الجنون الى جنون حاد مع حمى اوفرانيطس والى جنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مزمن بلا حمى ومنه الماتيا والماليخوليا . وفرق ما بين الوهم (Halluciuotion) والتخيل (illusion) . وفي سنة خمسة قبل الميلاد قال سلز (Celse) بتقييد المجانين بالسلاسل وقصاصهم . ثم ظهر غوليوس اوراليوس (Cœlius Aurélianus) فاشتغل بمعالجة الامراض النفسية بصورة خاصة ودعا الى معاملة المجانين باللين والحسنى . وأبلى في مقاومة الفكرة القائلة بغلهم وتعذيبهم ومعاملتهم بالشدة والقسوة بلاءً حسناً . وقد كان لا يجيز استعمال الربط الا في حالات الهياج الشديد على ان تكون من القماش اللين اللطيف وبصورة لا ينال بها جسم المريض اذى .

وفي سنة ١٣١ أتى جالينوس فلم يزد في طب النفس على ماجاء به أسلافه شيئاً يستدعي البحث أو الذكر .

هنا انتهى عصر العلم اليوناني الروماني الزاهي ذلك العصر الذي أضاء سماء العالم بنور العلم الصحيح فهداه الى محجة الصواب ومعرفة الحقيقة ، وبدأ زمن الفترة ، زمن التيه الذي ضل به البشر ستمائة سنة في غياهب الجهل الناشئ عن الحروب والفتن الدينية والمذهبية ، فتوقف نمو العلم واضطهد رجاله وأخذ بالتقهقر والانحطاط ، وتطرق اليه الفساد واستولى عليه الكهان وأعادوه الى المعابد والهيا كل ثانية ، فذوى بعد النضارة وأقفر بعد الخصب ، وعاد العالم الى ظلمة الجهل الاولى ورجع اليه الاعتقاد بان مصدر الجنون آلهي أوشيطاني ، ففتحت للمجانين أبواب الأديرة والصوامع يجلون فيها المصابين منهم بالهذيان التصوفي والديني . اما المصابون بالهذيان المخالف للشرائع والمعتقدات فقد كانوا يزجون في أعماق السجون يلاقون فيها أشد أنواع العذاب : وبالنظر لما كان يلاقيه الحكماء في هذا العهد من الجور والاضطهاد هاجر عدد منهم الى الشرق وأسسوا في جنديسابور مدرسة للطب كان لها في نقل العلوم الى العرب الحظ الأوفر .

* * *

الجنون والمجانين عند العرب :— وهنا على ذكر العرب نترك الغرب هنيهة يتخبط في ظلمة جهله ، وننتقل برهة الى الشرق ، الى تلك الدهناء القاحلة لنشاهد المجنون بهيم في فلواتها على وجهه ولا رادع ولا زاجر ، ثم لنراه ممسوساً ومن حوله الكهان والعرافون . وعليه التمائم والطلاسم ، وأمامه النار يتصاعد منها دخان العود والند ، يعزمون بها على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجني ليخرجوه من ذلك الجسم الضعيف ، ثم لنبصره مريضاً في مستشفيات بغداد ودمشق ومصر وقرطبة مضطجعاً على فرش من القطن اللين في ردهة يتنازع جوها الهواء والنور ، وأمامه الرازي وابن سينا ومهذب الدين عبد الرحيم وابن زهر وغيرهم ومن حولهم الخدام والمشارفون يتعهدونه بانواع الاشربة المسكنة والمرطبة ، ويغذونه بمرق الدجاج وأنواع الالبان بينما الموسيقى تصدح خلفه بالحانها الشجية . ثم لنلحظه وقد تحولت تلك المصحات الى مجازر مظلمة مكبلاً كالوحش الضاري بالسلاسل والاغلال عاري الجسد تنهال عليه زبانية العذاب بالسياط كما تملل أو صاح والناس من حوله يقهقهون ويسخرون . وهنالك نقف ونتساءل : ألا يوجد مابين تعريف الجنون ومعاملة المجنون عند الامة الواحدة وبين الرقي العلمي والاجتماعي فيها صلة تصح أن تكون معياراً أم لا ؟ هنالك نلتقي بالغرب حيث تركناه يتخبط في ظلمة جهله ، فيسير هو . ونقف نحن .

كان العرب أيها السادة في عصر جاهليتهم يعتقدون كسائر الامم القديمة بان الجنون شيطاني فيعالجونه بالرقى والتمائم والنذور والسحر والعزائم ؛ وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً عندهم حتى الصدر الاول من الاسلام . فقد جاء في شعر مجنون بني عامر :

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن لحظة ولو عقلوا قالوا به أعين الانس

وقد كان يقوم بمهام هذه الصناعة الكهان والعرافون ، وكانوا يطلقون كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية حتى على العشق ، وينعتون بالجنون كل من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون ، ولم ينقل عنهم انهم كانوا يؤذون مجانينهم بغلهم وتعذيبهم بل كانوا يطلقونهم يهيمون على وجوههم حيثما شاؤا فيعترضهم الصبية يسخرون بهم ويضحكون منهم كما هي الحال اليوم في كثير من المدن الشرقية . ثم لما أضاء الاسلام بصائرهم ضربوا في طول الارض وعرضها فقوضوا عروش القياصرة والاكاسرة وأسسوا في هنة من الزمن مملكة عظيمة ذات حضارة ومدنية رفيعة لم تسبقهم الى مثلها أمة من الامم . واتجهت أبصارهم الى العلوم الطبيعية والعقلية فألفوها حيث تركناها في هذا البحث مهجورة منبوذة تفتك في صحفها عوامل الاهمال والنسيان ، فاتجهوا اليها بكليتهم واستخدموا في سبيل جمعها وإحيائها كل ما أوتوه من سلطان شامخ ، ومال زاخر ، ومجد باذخ ، فنبتت بذور العلم التفاحل ثمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تزهو بالوان عربية جديدة في جميع الممالك الاسلامية ، وشيدت فيها المستشفيات الواسعة الأرجاء ودور الحكمة والصيدليات ومجالس الادب والمناظرة . وعاد الطب النفسي الى سيرته اليونانية الرومانية الاولى فعرف الناس ان الجنون مرض كسائر الامراض الجسمية ، وان مركزه الدماغ ، وعالجوه بالادوية والتدابير الصحية والعوامل الطبيعية والتلقين ، وجعلوه فرعاً من فروع الطب ممتزجاً بفرع الجهاز العصبي كما هو عليه اليوم ، وأدخلوه المستشفيات العامة ، وخصصوا له فيها غرفاً خاصة كانوا يسمونها غرف الممرورين ، والفوا في بعض أبحاثه كتباً خاصة . قال ابن ابي أصيبعة في عيون الانباء : « شاهدت يوماً شيخي مهذب الدين عبد الرحيم في البيمارستان النوري في دمشق ، وقد دخل قاعة الممرورين فرأى فيها رجلاً مصاباً بالمرض المعروف بالماليخوليا وهو الجنون السبعي فوصف بان يضاف الى ماء الشعير في وقت إسقائه اياه مقدار متوفر من الافيون ، فصلح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال » . وذكر ايضاً : ان الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي كتب مقالة في المزاج ومقالة في الرسام ومقالة في العلة المراقية . وان جبريل بن بختيشوع شفى جارية للرشيد كانت مصابة بشلل هستريائي بصدمة نفسية . وقال ابو القاسم النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين : دخلت البيمارستان في البصرة فشاهدت في المجانين الخ [1] مما يدل دلالة واضحة على انه كان يوجد في المستشفيات في ذلك العهد غرف خاصة بالامراض النفسية ، وعلى إدراك الاطباء ماهية الجنون وعدم تفريقهم بينه وبين سائر

(١) وجاء في كتاب الجوامع والمدارس صورة وقف البيمارستان القيمري وهي : هذا وقف ابي الحسن بن ابي الفوارس القيمري على بيمارستانه في الصالحية على معالجة المرضى والمعاجين والاشربة وأجرة الطبيب ، يصرف الى الطبيب في كل شهر لواحد سبعون درهماً ونصف غرارة من قمح وللمشارف كذا وللكحال كذا وللحوائج كذا والى ثلاثة رجال كذا ولمن يقوم بمريضات النساء والمجنونات في كل شهر لكل واحدة عشرة دراهم وسدس غرارة قمح الخ ... وجاء في خطط الشام : في صك وقف احد المستشفيات في حلب بان كل مجنون يخص بخادمين فينتزعان عنه ثيابه كل صباح ويحمانه بالماء البارد ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن ، بقراءة قارئ حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ويسمع في الآخر الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطيبة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامراض الجسمية من حيث الماهية ، وعلى اهتمامهم بدرسه ومعالجته بالطرق العلمية الفنية مما لم يوفق الطب الحديث الى مثله الا منذ بضع سنين ، هذا وبالنظر لبلوغ الممالك الاسلامية في ذلك العهد درجة رفيعة في الحضارة والمدنية اللتين من لوازمها النظام والامن لم يعد من الممكن ترك المجانين مطلقين يطوفون في المدن كما كانوا عليه في الزمن السابق وكما هم عليه اليوم في البلاد الشرقية ، وذلك لما يظهرون به من المظاهر المخالفة للحشمة والآداب العامة ، ولما يأتونه من الاعمال المخلة بالانظمة والادارة والمقلقة لراحة الناس ، فأمر المنصور العباسي بان تبنى لهم دور خاصة يحجر عليهم فيها منعاً لاضرارهم والاضرار بهم ، فشيدت في كل بلد من البلاد الاسلامية دار للمجانين . واذا تصفحنا كتاب عقلاء المجانين لابي القاسم النيسابوري نجد فيه ذكر كثير من هذه المؤسسات الخيرية في جميع المدن العربية كدار المجانين في الموصل وفي البصرة وفي نيسابور وفي الشام وبغداد ومصر وغيرها . وللمنصور الفخر الاعظم بانه لم يسبق الى مثل عمله هذا في تواريخ الامم المتقدمة .

وقد نبغ في الطب في هذا الدور في البلاد الاسلامية أطباء عظام خلد التاريخ ذكرهم منهم الشيخ الرئيس ابن سينا والرازي والمجوسي وابن زهر وغيرهم ، فقد أضاف كل منهم الى ما كتبه من الموسوعات الطبية فصولاً ضافية في الامراض النفسية تدل دلالة واضحة على سعة علم وكبير دراية وخبرة وحذق وتجربة في هذا الفرع الطبي .

هذا وبالنظر لما للطب النفسي من الصلة المباشرة بعلم النفس تناولته أقلام كثير من العلماء والفلاسفة والادباء غير الاطباء فألفوا في قسمه الادبي كتباً على غاية من الاجادة ، من ذلك كتاب الحمقى والمغفلين الذي وضعه ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ فهو من خيرة ما كتب في الحمق وتعريفه ووصفه حتى اليوم . ومنها كتاب عقلاء المجانين وكتاب الاذكياء اللذين وضعهما ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ فقد أتى في مقدمتهما على تعريف الجنون وأسمائه وضروبه والذكاء وأقسامه مما يدل على ان معرفة ماهية الجنون لم تكن خاصة بالاطباء بل كانت عامة تتناولها أقلام الكتاب والادباء وألسنة الناس في سمرهم ومجالس لهوهم في ذلك العصر الزاهر .

غير ان العوامل الزمنية التي قضت على حكمة أبقراط وتلاميذه لم تشأ الا أن تتطرق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى هذه المدنية الغربية الفتية وتفسدها وتشوه من محاسنها . فقد أصاب المسلمين في بدء نهضتهم ماأصاب غيرهم من الاختلاف والتشعب في الطرق والمذاهب التي كان من نتائجها السيئة انصراف الناس عن العلم واشتغالهم بالبدع . نذكر من ذلك العود الى الاعتقاد بان الجنون روحاني أوشيطاني والاخذ بمعالجته بالطلاسم والحجب والتمائم والرقى والعزائم وغير ذلك مما حمل الغربي في العصر الاخير على القول بان الاسلام ينظر الى المجاذيب كأولياء مقدسين ، بينا هذا الظن فاسد يدحضه على ما أتينا على ذكره مما كان عليه الجنون والمجانين عند المسلمين وخلفائهم في صدر الاسلام . ولعل السبب في حرمة فريق من العامة لبعض المجاذيب ان العقلاء من رجال الدين والتقوى في ذلك العصر المتأخر ساءهم مايشاهدونه من ازدراء الناس بالمجانين وتعرضهم لهم بالاذى والهزء والسخرية بهم مما تنكره الشريعة الاسلامية التي تأمر بالاحسان والمعروف وتنهي عن الشر والاذى فأخذوا يرشدونهم بقولهم : ماهؤلاء الا عباد الله فلا تسخروا بعباده وأحسنوا اليهم يحسن الله لكم الى غير ذلك من عبارات الوعظ الصالح الذي أساء العامة فهمه ولم يحسنوا العمل به .

قال الطبيبان لوف وسيريو (Lwoff et Sérieux) اللذان أوفدتهما وزارة المعارف الافرنسية الى مراكش سنة ١٩١٠ لدرس الامراض النفسية فيها وكيفية مداواتها في كتابهما المسمى المجانين في مراكش مانصه :

« اذا صح القول بان اسعاف المرضى بالآفات النفسية ومداواتهم مفقودان في مراكش فان السبب في ذلك ليس ناجماً كما يظن عن عدم تلائم بين الاسلام ومداواة الامراض النفسية ، بل يمتُّ الى مصدر واحد : هو هوة الانحطاط التي تتدهور فيها مراكش منذ عهد بعيد ، فان عصيان القبائل المتواصل والحروب الاهلية التي يثيرها ذوو الاغراض وعدم استقرار البلاد من جراء مطامع الدول الاجنبية المتسلطة يستغرق كل فاعلية الحكومة الشريفية ، كما ان قلة موارد البلاد وعدم الثقة بالغد والفوضى الضاربة في جميع أنحاء البلاد تعلل لنا عدم اكتراث السلطة المركزية الموقتة بكل مايتعلق بالاسعاف العام .

أضف الى ذلك اندثار التعليم الطبي منذ عصور كثيرة واندثار دور العلم التي كانت مدارس العالم الاسلامي العظمى في العصور المتقدمة مما قضى على جميع المبادئ العلمية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المتعلقة بالامراض النفسية ومداواتها . وفسح مجالاً لاستيلاء أضاليل الاولين وخرافاتهم على أذهان النـاس . وعلى ذلك نقول : ان أحوال المجانين الحاضرة في مراكش تنسب الى أسباب اجتماعية فقط وليس الى أسباب دينية .

« هذا وان تاريخ الحضارة الاسلامية يطلعنا على ان الاسلام لم يهمل العناية بالمجانين البتة ، ففي العصور التي كانت تعد فيها الامراض النفسية في اوربة ناشئة عن أسباب فوق الطبيعة كانت معارف الاطبـاء العرب الذين ورثوا الطب اليوناني صحيحة صريحة فيما يتعلق بهـذه الامراض ، ويظهر ان الملوك العرب هم الذين أوجدوا باديء بدء دوراً خاصة بالمجانين في مصر ومراكش واسبانيا . ويرجح ان فكرة اسعاف المجانين قد انتقلت أخيراً الى العالم المسيحي بواسطة الملاجيء التي أوجدها المسلمون في اسبانيا » اه .

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماهية الجنون وتاريخه

- ٢ -

الجنون في اللغة العربية — الجنون في اللغة الاستتار . وجن الشيء اذا استتر . وأجن الليل الشيء اذا ستره . والمجنون من الناس من كان مستور العقل . وقد أطلق العرب كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية على اختلافها وتنوعها فقالوا : الجنون فنون ، ولا يخلو العاقل من ضرب من الجنون . وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : ليس من احد الا وفيه حمقة فيها يعيش . وسمى النبي صلى الله عليه وسلم من أبلى شبابه في المعصية مجنونًا . وسمى العرب العاشق مجنونًا . ونعتوا بالجنون من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون . ولهذا قالوا في النبي صلى الله عليه وسلم حين تحداهم الى الايمان بالله انه ساحر أو مجنون .

فالجنون والحالة هذه كلمة عامة أطلقها العرب على جميع الأحوال النفسية الشاذة . والمجنون عندهم كل من أصيب في نفسه فلم يأتلف مع البيئة عقلاً أو فعلاً أو انفعالاً . وهذا أقصى ما وصل اليه العلم الحديث في تعريف الجنون في العصر الأخير .

غير ان الاصطلاح قد أخرج هذه الكلمة من معناها الذي تقدم ذكره وخصها بمن أصيب في عقله فراح يسب ويخلط ويهذي ويضرب ويخرق الثوب . وقد فقدت اللغة العربية بهذا التخصيص مادة عامة هي في أشد الحاجة اليها اليوم من الوجهة العلمية . ولما كان الرجوع الى كلمة الجنون متعذراً بعد ذلك التخصيص ولما علق بها من معنى الإهانة والتحقير رأينا ان يستعاض عنها بكلمة نُفاس أي مرض النفس اشتقاقًا على القياس كما يقال كُباد وقُلاب . فيقال منفوس كمكبود ومصدور .

أما ما يوجد في اللغة العربية من الألفاظ التي عدّها كثير من علماء اللغة مرادفة لكلمة مجنون فانها في الحقيقة غير مترادفة ونسبتها الى الجنون نسبة النوع الى الجنس . فان لكل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منها معنىً خاصاً يميزها عن الأُخرى . وقد لا يوجد في لغة من لغات العالم القديمة والحديثة مافي اللغة العربية من الأسماء الخاصة المتعلقة بالحالات النفسية المرضية . فالفدومة والبلاهة والرعونة والحمق والعته والسبه والهذيان والخرف والزور والمس والخبل والهوس والهلس والوسواس والجذب الى غير ذلك من عشرات الأسماء ما هي الا مسميات لحالات نفسية مرضية مختلفة خاصة . ووجودها قديماً في اللغة يدل دلالة واضحة على كبير إلمام بالاحوال النفسية وخصائصها في تلك العصور الغابرة .

الجنون والشرع الاسلامي — للشريعة الاسلامية فضل السبق على سائر الشرائع القديمة والحديثة بوضع أحكام للمجانين جامعة مطابقة لروح العدل والعلم والاجتماع على اختلاف الزمان والمكان . فهي تنزل المجنون في الحكم وفي المعاملات منزلة الصغير غير المميز أوالمميز أحياناً حسب نوع جنونه ودرجته . وتقضي على السفيه والفاسق اللذين يعدهما العلم الحديث من المنفوسين بالحجر محافظة على أموالهم . وتحدد درجات المحجورين والمأذونين منهم وتعرفهم وتبين أنواعهم وتفصل أحكامهم بالنسبة لأنواع التصرفات مما لم تتوفق اليه الشرائع المدنية الحديثه الا في القرن الأخير . فالمجنون في الشرع الاسلامي غير مكلف وهومحجور لذاته . وحكمه حكم الصغير غير المميز اذا كان جنونه مطبقاً . وحكم الصغير المميز اذا كان جنونه قسمياً . وتصرفات المجنون في حال إفاقته كتصرف العاقل . والسفيه المحجور هو في المعاملات كالصغير المميز ووليه الحاكم فقط . ويضمن المجنون الضرر والخسارة اللذين نشآ من فعله . ولا ينفذ حكم القتل على من جن قبل تنفيذ الحكم . ويستند القاضي في اثبات الجنون الى الخبير من الاطباء . الى غير ذلك من الاحكام الكلية المعمول بها في الاسلام منذ الف وثلاثمائة سنة والتي لا تختلف في نصوصها عن الاحكام المرعية اليوم عند أرقى الامم حضارة وثقافة ومدنية .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

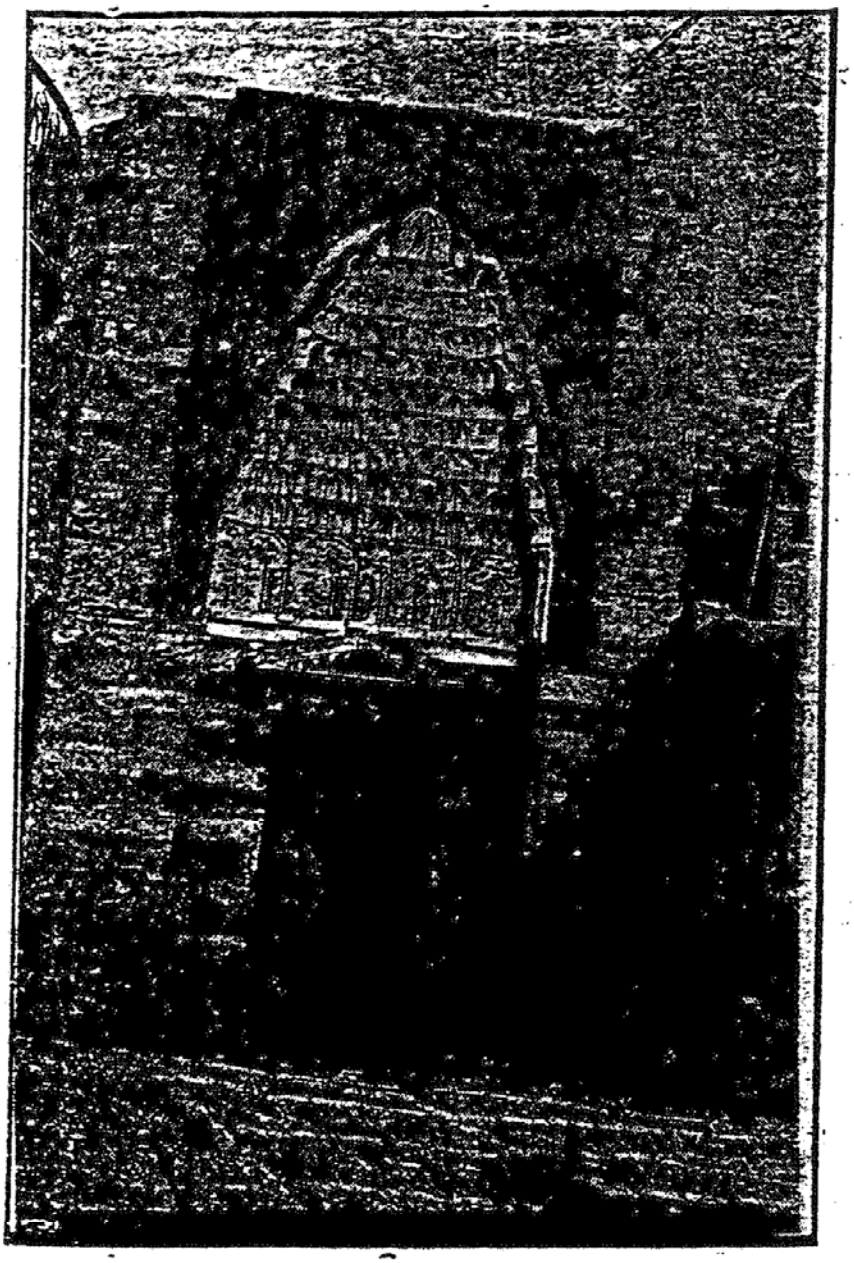

« البيمارستان النوري الكبير في دمشق »

أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٠ هـ

وهو اليوم ميتم للاناث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«البيمارستان القيمري في دمشق»

أنشأه الأمير سيف الدين قيمر سنة ٦٤٣ هـ في سفح جبل الصالحية
وهو اليوم حظيرة يأوي اليه الفقراء والمساكين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجنون والمجانين في اوربة في القرون الوسطى — وبينا الطب النفسي يرفل في الممالك الاسلامية بابهى الحلل كانت اوربة تائهة في ليل من الأضاليل وقد شاع فيها الاعتقاد بالجنون الالآهي والشيطاني شأنه في القرون المتقدمة فراحت تبجل المصابين بالهذيان الديني وترمي بالكفر المبتلين بانواع الهذيان المخالف للشرائع والمعتقدات فيحكم عليهم بالسجن والقتل أو يقذف بهم في أعماق آبار روما القديمة حيث يقضون نحبهم ضحية الجهل المطبق. ولم يكن القانون الروماني يستثني من العقاب سوى المصابين ببعض أنواع الجنون المطبق كالعته التام والبلاهة الشديدة . وقد كان هؤلاء المرضى غير المسؤولين يرسلون الى قرى وجزر غير آهلة ولا منبتة تخصص لهم صيانة للناس من أذاهم ، والهولنديون هم اول من ابتدع هذه الطريقة في تجريد المجانين ، وقد كانت هذه القرى ذات أسوار ضخمة مرتفعة وفي داخلها غرفة ذات سلاسل وقيود يقيد بها المجانين المحتدون ويظلون فيها الى أن يقضوا نحبهم .

الجنون والمجانين في القرون الأخيرة — بقي علم الجنون حتى أواخر القرن الثامن عشر غريباً عن علم الطب كأنه لا يمتُّ اليه بصلة . وظل العالم باجمعه حتى أواخر القرن التاسع عشر ينظر الى المجنون نظره الى الحيوان المفترس فيعمل على غله وتجريده والحجر عليه ليأمن أذاه دون ان تأخذه به رأفة أو أن يفكر بمداواته وبرئه . وقد كان المجانين في جميع البلدان يساقون في الأسواق مغلولي الأيدي حفاة مكشوفي الرؤوس مطوقي الأعناق بسلاسل طويلة يقودهم بها السجانون ومن ورائهم الناس والأولاد يهزأون بهم ويسخرون منهم الى ان يبلغوا المكان المعد لهم وهو أشبه بسجن في باطنه حجيرات صغيرة ضيقة منخفضة السقف مظلمة لا ينفذ اليها النور الا من نافذة صغيرة في السقف أو في أعلى الجدار وقد سلحت جدرانها بالسلاسل والأغلال يقيد بها المجنون ويزج فيها على الأرض أو على مقعد خشبي حيث يقضي ليله ونهاره بعيداً عن النور والهواء في جوٍّ تتكاثف فيه العفونة والروائح المنتنة الكريهة الى ان تمد اليه الطبيعة يد الاحسان والشفقة فتتداركه باحد أمراضها القتالة وتريحه من مظالم أخيه الانسان .

ومن بواعث الأسى والأسف ان الناس كانوا حتى أوائل العصر الحاضر يؤمون هذه الملاجئ أو بالحري هذه المجازر لترويح النفس بمشاهدة اولئك الضعفاء الابرياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا تعتريهم عندما يشاهدونهم يقاسون تلك الآلام شفقة ولا رأفة ، بل بالعكس كان منهم من يحاول إثارة غضب ذلك البائس بايذائه ليبادر اليه زبانية المحل بالسياط فيقهقه الناظرون لهذا المنظر الوحشي كأنهم ليسوا من طينة هؤلاء التعساء . ولا غرو فقد خلق الانسان ظلوماً .

ومما تقدم ذكره يتبين لنا ان مدنية القرون الاخيرة انحصرت في تجريد المجنون عن الهيأة الاجتماعية لتتملص من أذاه دون ان تمد اليه يد الاسعاف ودون ان تلحظه عين العلم بطرف ، وفي ذلك لعمري منتهى الانانية والظلم .

الجنون والمجانين في القرن التاسع عشر والعشرين — هكذا بقي الجنون يُعد حالة لا صلة للعلم بهـا والمجنون حيواناً لا يمتُّ الى البشرية باصل الى سنة ١٧٩٣ حيث قيض الله له رسولاً من الرحمة حطَّم بجهاده العلمي سلاسله وقيوده ونهض به من درجة الحيوان الى مكانة الانسان المريض وذلك المصلح المجدد الكبير هو الدكتور بينل الذي تخلد له الانسانية في صدرها ذكراً مشفوعاً بالحرمة والثناء .

عهدت حكومة الشعب الفرنسية ايها السادة الى بنيل (Pinel) سنة ١٧٩٣ بادارة مستشفى بيستر (Bisétre) فشق عليه ماراَه فيه من حالة المجانين التي اتينا على وصفهـا . فآلى على نفسه ان يعمل على انقاذهم من هذه المجازر التي يحمر منها وجه الانسانية خجلاً فتقرب الى الحكومة بطلب حل قيود المجـانين ومعاملتهم باللين والحسنى فهزأت بكلامه مراراً ثم اجابته الى طلبه بعد ان اخذ على نفسه تبعة هذا العمل وبرهن فعلاً على ان اطلاق المجانين ينقص من هياجهم ويساعد على برئهم . فدخل الطب النفسي من هذا العهد في دور رقي جديد وقد عم هـذا الاصلاح انكلترا والمانيا وايطاليا وسائر الممالك الاوربية الراقية . فسادت فيها فكرة الانسانية وبديء بقلب تلك السجون الدامية الى دور تمريض يلقى فيها المجنون مايلقاه المريض من العناية والمعالجة والنظافة والغذاء والدرس الطبي والمشاهدة .

ومنعاً لاساءة التصرف بالحجر على الناس المصابين بالآفات العقلية اصدرت الحكومة الفرنسية قانون ٣٠ حزيران سنة ١٨٣٨ المتعلق بنظام المؤسسات الصحية المخصصة للمجانين . ولم يزل هذا القانون معمولاً به حتى اليوم . وفي جميع الممالك الاوربية بفروق قليلة . وعلى الرغم من ان هدف هذا القانون اجتماعي غير طبي فان وضع المجانين في دور خاصة تتوفر فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسباب الخدمة والتمريض وحسن الادارة فسح للاطباء مجالاً لدرس اولئك المرضى ومشاهدتهم مما عاد على الطب وعلى الانسانية بالنفع الكبير لان الجنون الذي لم يكن يعرف من حقائقه الا القليل بدأ يتضح رويداً رويداً ويدخل في نهج علمي صحيح .

ففي سنة ١٨٢٢ ميز بيل (Bayle) الخبل العام (Paralysie géneraIe) ووصف لاسيك (Lasèque) سنة ١٨٥٢ هذيان الاضطهاد وجدد مارك وفورده طب المجانين الشرعي وفي سنة ١٨٥٤ وصف فالرت (Falret) وبيارجر (Baillarger) الجنة المتناوبة ثم جاءت اعمال مولر ولفرن وكوتار وشاركو وغيرهم من الاساتذة المشهورين وكلها ترمي الى تصنيف امراض النفس وتمييز كل منها عن الآخر . اما المداواة فقد قامت في وجهها عقبات جمة اهمها الاعتقاد باستحالة شفاء المجنون وعدم امكان مداواته وقد ابلى مانيان (Magnan) في مقاومة هذه الفكرة بلاءً حسنا ونهج في استقرائه العلمي طرق التشريح والتجربة متوخياً التوفيق مابين الفسيولوجيا والسريريات . فهداه عمله هذا الى اكتشاف اسباب كثير من الحالات النفسية الجنونية وذلك ان هذه الحالات تنشأ في الغالب عن اختلالات الجسم العضوية الناشئة عن المسكرات والسموم والعفونة وعدم كفاية الاعضاء الباطنية وغير ذلك مما يجعل مابين امراض الجسم والآفات النفسية علاقة قوية . ويفتح في وجه الامراض النفسية طرقاً جديدة للمداواة والوقاية .

هنا دخل طب النفس في عهد جديد . فانه لم يقف عند عد المجنون مريضاً عادياً يعنى بمداواته مدة مرضه بل تجاوز هذا الحد الى القول بوجوب الاسراع بتشخيص الداء في بدء حدوثه ومكافحته كما تكافح سائر الامراض بطرق التحفظ والوقاية والمداواة العاجلة . وذلك لان المشاهدات الطبية اثبتت ان كثيراً من الامراض النفسية تشفى بسهولة اذا عولجت في بدء نشوئها كما ان الاحصاآت دلت على ان في ١٠٠ حادثة شفاء يوجد سبعون ممن عولجوا في السنة الاولى والثانية و٣ — ٤ ممن عولجوا في السنة الثالثة . وخير دليل ناطق على علاقة امراض الجسم بآفات النفس وامكان مداواتها والوقاية منها : الزهري اي الافرنجي فهو مرض وبيل تنشأ عنه امراض عصبية ودماغية عضالة تشفى بالمداواة العاجلة . كما انه من الممكن منع حدوثها بمداواة هذا المرض في بدء ظهوره .

وهكذا يقال في المسكرات الغولية وغيرها فان ادمانها يفسد الكبد ويضعف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعصاب ، فتقف الخلايا الكبدية دون ايفاء وظيفتها فتتسمم الخلايا الدماغية وتصبح مريضة ينشا عنها الاختلال العقلي والخلقي ، فاذا فطم السكير عن المسكر وأصلحت كبده بالأدوية الخاصة يقل تجمع السم في دمه فتصلح حاله النفسية . وهكذا الحال مع غير المسكرات من السموم ، ومع الامراض العفنية واختلال الافرازات الغدية وغيرها مما يسبب ضعف الخلايا الدماغية ويحدث فساداً في الافعال العقلية وفي الفاعلية والانفعال ، فيدعى صاحبها مجنوناً بينما هو مريض وكان بالامكان وقايته من هذه الامراض الجنونية بمداواة سببها كما انه في الامكان شفاؤه منها اذا اكتشف الطبيب السبب وعالجه قبل ان يتأصل الداء في جسمه .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أيها السادة ان كثيراً من الأمراض النفسية التي كان الطب القديم يحكم بعدم شفائها تشفى اليوم بفضل الرقي العلمي الحديث وهي تكافح وتتقى كما تكافح سائر الأمراض الجسمية .

على ان الوقاية النفسية قد خطت اليوم خطوة كبرى تعد على حداثة عهدها من مفاخر هذا العصر ومبتدعاته وبذلك بفضل جهود احد المحسنين الامير كيين كليفور ويليام بير (Clifford W. Beers) الملقب بينل اميركا . وذلك ان هذا الرجل المحسن الكبير كان أصيب باختلال عقلي من جراء مرض الوافدة ، وحجر عليه من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ ، فلما شفي وخرج من المستشفى أخذ على نفسه ان يعمل على وقاية بني جنسه من الاختلالات النفسية ويسعى لحسن مداواتها ، فأسس سنة ١٩٠٨ في نيويورك جمعية حفظ صحة النفس وتطوع للتبشير بها ، فانتشرت فكرته هذه في جميع العالم المتمدن ، فتأسست في سويسرة وفرنسة سنة ١٩٢٠ وفي بولونيا سنة ١٩٢١ وفي البرازيل سنة ١٩٢٣ وفي بيرو والمجر وتشكوسلوفاكيا وبولونيا سنة ١٩٢٤ مؤسسات كبيرة لحفظ صحة النفس .

وقد كانت الحرب العالمية الاخيرة العامل الاكبر في توجيه أبصار العالم المتمدن الى أهمية الوقاية النفسية ووجوب الاعتناء بصحة عقلية الفرد التي تتوقف عليها حياة المجموع وسلامته . فقد كان يوجد وراء كل جيش من جيوش الامم المحاربة العظمى هيأة صحية عملها فحص نفسية الضباط والافراد ، ومستشفيات خاصة لمداواة الآفات النفسية في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطوط القتال . قال الدكتور بترتريسكا في كتابه الوقاية النفسية : ان (٦٨٠٠٠٠٠) جندي أخرجوا من الجيش الاميركي وأعيدوا لبلادهم لاكتشاف آفات نفسية في جسومهم وانه بفضل هذا الانتقاء كانت صحة الجيش الاميركي النفسية جيدة مسرة ، فقد بلغ عدد حوادث الانتحار والجنايات فيه (١٢٠) حادثة انتحار و (١٧٣١) جنحة وجناية بينما كان عدد حوادث الانتحار فيه قبل الحرب (١١٧٠) حادثة و (٢٥٠٠٠) حادثة جنحة وجناية . وختم هذا البحث بقوله ان تجربة الحرب أثبتت أهمية العنصر النفسي في صحة المجتمع .

وقال الدكتور تولوز مؤسس الوقاية النفسية في فرنسة : « تتألف مقومات الفاعلية الاجتماعية الاساسية من نفسية الافراد ، فان مرض عضو واحد من أعضاء الفرد لايمنعه من القيام بعمل صناعي صحيح ، بينما أخف الحالات النفسية السيئة تؤدي الى نقص الفاعلية المنتجة أو بطلانها ، فسلامة النفس والحالة هذه هي في الدرجة الاولى من الاهمية فيما يتعلق بانتاج الفرد الذي هو العنصر الذي تتألف منه حياة الامة السعيدة ، فمن الواجب على فرنسة التي نهكتها الحرب وأفقرتها ان تستجمع كل قواها لاعادة بنيان ثروتها من القدرة النفسية . »

واليكم خلاصة نظام اتحاد وقاية النفس الافرنسي المطبق اليوم :

(١) تهذيب الشعب وتعليمه ليدفع عن نفسه الامراض النفسية كما يتقى مرض السل وذلك بواسطة التبشير والصحف والدعاية لترك المسكرات واجتناب دور الفحش والميسر .

(٢) تأمين كشف المرض النفسي ومداواته في بدئه وذلك بفتح مستوصفات خاصة بالآفات النفسية يقوم بمهامها أخصائيون وممرضات سيارات .

(٣) وقاية الطلاب والصناع من الآفات النفسية بدرس درجة تحمل قواهم العقلية وتعيين الصناعة التي تتفق مع مداركهم .

ومن هذا النظام يتضح لنا ان جمعيات حفظ صحة النفس لم تقف عند حد مداواة الامراض النفسية والوقاية منها بل تعدتها الى هدف أسمى ، فهي تدرس قابلية الاشخاص والطلاب العلمية والعملية وهم في مدارسهم وتوجه كلاً منهم الى العلم أو الصناعة التي تلتئم مع مواهبه ، فيستثمر العلم والصناعة من قواه الحد الاقصى ، وفي هذا منتهى الرقي والتقدم .

ومن هذه الخلاصة التاريخية أيها السادة يتبين لنا ان علم الامراض النفسية ولا نسميها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعد اليوم بالجنون لما تلوثت به هذه الكلمة من أدران الجهل والظلم والوحشية في العصور الماضية — قد تطور تطوراً سريعاً في هذه السنين الاخيرة من أساطير خرافية — الى علم طبي — الى فن مداواة ووقاية — الى علم اجتماعي ترتكز عليه سعادة الامم ورقيها ، وان المنفوس أي المصاب بآفة نفسية ولا نسميه بعد اليوم مجنوناً لما تدنست به هذه الكلمة من من الحقارة وعدم الدلالة على المعنى العلمي — قد ارتقى من سليب آلهة أو ملموس شياطين الى أثيم شرير يسجن أو يحرق أو يصلب — الى حيوان مفترس يكبل بالسلاسل والاغلال — الى بريء يستحق الرأفة والاحسان — الى مريض معصوم ينتقل ما بين سرير المستشفى وردهات المصح حيث النور والهواء الطلق والحدائق والمطاعم والمشاغل مما يعد من مفاخر هذا العصر ، وهو يؤيد ماقدمته في بدء هذه المحاضرة : إن أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وأبهى أيام البشرية حضارة هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضى بالرأفة والشفقة والاحسان .

الدكتور اسعد الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net